المحاضرة الثانية

تأريخ الدرس اللساني وتطوره

<u>اللسانيات</u>: هي العلم الذي يدرس اللغة الإنسانية دراسة علمية تقوم على الوصف ومعاينة الوقائع بعيدًا عن النزعة التعليمية والأحكام المعيارية.

١. تأريخ الدرس اللساني عند الغربيين

ترجع بداية اللسانيات إلى القرن التاسع عشر ، إذ شهد ثلاثة منعطفات في مسيرة هذا العلم:

١. اكتشاف اللغة السنسكريتية.

٢. ظهور القواعد المقارنة.

٣. نشوء علم اللغة التأريخي.

٤. نشوء علم اللغة الوصفي(مرحلة سوسير).

١. اكتشاف اللغة السنسكريتية

ظهر في بداية هذا القرن اكتشاف اللغة السنسكريتية، على يد : السير وليام جونز(١٧٨٦م)، الذي كان قاضيا في كالكتا في الهند، فقد أعلن أمام الجمعية اللغوية الآسيوية في البنغال عن أهمية هذه اللغة في البحوث اللغوية.

ثمّ بعد ذلك عُني (شليجل) في كتابه (حول لغة الهنود وحكمتهم) في سنة ١٨٠٨بشرح هذه النظرية التي طرحها جونز.

وكذلك ام بارتلمي بتأليف كتاب في اللغة السنسكريتية، سمّاه (قواعد السنسكريتية) وغيره من كتبه في هذا الإتجاه.

وقد صدرت في إنكلترا مجموعة من الكتب التي تعالج السنسكريتية، ولكنَّ باريس غدت مركزا للدراسات المختصة بالسنسكريتية، واستقطبت كثيرًا من الباحثين في المانيا وانكلترا.

وقد نتج عن هذه الحقبة استخدام اللغة السنسكريتية أساسًا للمقارنة ضمن اللغات الهندية الأوربية(الهندوأوربية).

٢. ظهور القواعد المقارنة.

اشتهر شليجل في سنة(١٨٢٩) بأنه من أشهر من طبق الأسلوب المقارن في الدراسات اللغوية، فقد درس الحضارة الهندية ، وأسهم في تصنيف اللغات ، ونبّه على صلات التشابه الكثيرة التي تربط اللغات الأوربية والهندية والآرية بعضها ببعض.

أما بوب فيعد من مؤسسي القواعد المقارنة، إذ درس مجموعة من اللغات ، مثل: الفارسية ، والعربية، والسنسكريتية، وغيرها من اللغات الأوربية، وكان هدفه من دراساته هذه إثبات القرابة بين اللغات، وهناك بعض اللغويين الذين انتموا إلى مدرسة بوب ، مثل:ماكس مولر، وجورج كورتيوس، وأغست شليشر، فهؤلاء من رواد الدراسة المقارنة.

٣. نشوء علم اللغة التأريخي.

وبعد تطور الأسلوب المقارن الذي اعتمد في طرقه العلمية على رصد التطور التأريخي أصبح يتبع أسلوبًا جديدًا، عدم اهتمامه بإثبات القرابة بين اللغات، بل أصبح يهتم بمعرفة جميع التطورات اللفظية في لغة ما من خلال مجموع تأريخها، إلا أنّ التفريق بين الأسلوب التأريخي والمقارن لم يتضح إلا بعد عام ١٨٧٦م ، مع بقاء التداخل بين الأسلوبين، وقد قام غريم ودييز وشليشر بوضع القواعد التأريخية ، كما اهتمت مدرسة النحويين المحدثين بهذا الأسلوب متأثرة بنفوذ علم التأريخ الذي كان يعد العلم الرائد في القرن التاسع عشر.

٤. نشوء علم اللغة الوصفي(مرحلة سوسير).

وقد ظهر أسلوبًا جديدا في الدراسة اللغوية وأصبحت ملامحه تتضح، في أواخر القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين، وهو الأسلوب الوصفي الذي دعا إليه انطوان مارتي١٩١٤، وفرديناند دوسوسير، وقوام هذا الأسلوب المنهجي هو دراسة الظواهر اللغوية في مدة زمنية محددة وبالوصف العلمي البعيد عن الأحكام المسبقة، أو معايير الخطأ والصواب.

وقد بات معروفًا أن سوسير هو الأب الحقيقي للسانيات؛ لأنه وضّح اختصاصها ومناهجها وحدودها، وسوسير له مؤلفان هما: (أحرف العلة في اللغات الهندية الأوربية) و(حالة الجر المطلق في اللغة السنسكريتية)، إلا أنّه لم يشتهر بهذه المؤلفات، وإنما اشتهر بكتاب لم يكتبه، إذ اشتهر بمحاضرات في الألسنية العامة، وقد قام اثنان من طلابه وهما(بالي)و(سيشهي) في جنيف بإعداد هذا الكتاب وأصدراه في كتاب سنة ١٩١٦م، وقد اهتم العالم العربي بهذا الكتاب فتصدى عدد من المترجمين إلى ترجمته إلى العربية. أما أهم أفكار سوسير فهي تتمثل مجموعة من المسائل الثنائية المتعارضة،

٢. تأريخ الدرس اللساني عند العرب المحدثين

المصطلح

(اللسانيات) جمع مؤنث سالم لكلمة لسانيّ، المنسوبة إلى كلمة (لسان) ويعني (اللغة)، ظهر مصطلح (اللسانيات) في العصر الحديث وأخذ ينتشر، ترجمة للكلمة الإنكليزية(Lingue) المنسوب إليها المصطلح الغربي(Linguistics) وقد تعددت الترجمة لهذا المصطلح إلى ثلاثة وعشرين مصطلحًا منها: (الألسنية، وعلم اللغة، واللغويات، والدراسة اللغوية الحديثة، وعلم اللغة العام، وعلم اللسان، والانغويستيك...) وغيرها من المصطلحات.

ويُعدّ اللغوي الجزائري الدكتور عبد الرحمن الحاج صالح في سنة ١٩٦٩، هو أوّل من استعمل مصطلح (اللسانيات).

وتبنى الدكتور عبد السلام المسدي هذا المصطلح مع جمع من اللغويين، وأوصى باستعماله وتعميمه على العالم العربي، غير أنّ الدكتور أحمد مختار عمر

استعمل مصطلح (الألسنية) وحاول أن يُعمم استعمال هذا المصطلح ، إلا أنّه انحصر تدريجيًا ولم يعد يستعمل بكثرة، إذ فاق استعمال مصطلح (اللسانيات) في الدراسات اللغوية الحديثة.

يمكن للدارس أن يتتبع اللسانيات عند الباحثين العرب من خلال مرحلتين:

المرحلة الأولى:

بدأت هذه المرحلة من الأربعينيات إلى بداية السبعينيات عندما أصدر الدكتور علي عبد الواحد وافي كتابه(علم اللغة) في عام ١٩٤١ وكان نتاج هذه المرحلة هو إثارة نقاشات عامة حول مناهج الدرس اللغوي ضمن باب التأثر بالعلوم والثقافات الأجنبية، ورفدت عن طريق الإضافة والتكييف درسنا اللغوي المحدث دون أن تُقدّم اللسانيات على أنها علم له استقلاله مناهجَ ومدارسَ ومصطلحاتٍ.

المرحلة الثانية:

بدأت هذه المرحلة في بداية السبعينيات ولا تزال مستمرة إلى يومنا هذا، ومن نتاج هذه المرحلة أنها شهدت توسعًا مطّردًا في الترجمة والتأليف والتطبيق، ولعل أبرز من ألف في هذه الحقبة مجموعة من المصريين ، منهم:

١. الدكتور إبراهيم أنيس وكتابه(الأصوات اللغوية) ١٩٤٧.
٢. الدكتور تمام حسّان (مناهج البحث في اللغة) ١٩٥٥.
٣. الدكتور محمود السعران (علم اللغة مقدمة للقارئ العربي)١٩٦٢
٤. الدكتور عبد الرحمن أيوب (أصوات اللغة) في سنة١٩٦٣.
٥. الدكتور كمال بشر (علم اللغة العام) في سنة١٩٧٠.
٦. الدكتور محمود فهمي حُجازي (علم اللغة بين التراث والمناهج الحديثة)١٩٧٠.

وقد امتدت جوانب الدرس اللساني في عقد السبعينيات ليشمل أكثر أقطار الوطن العربي، بعد أن كان مقتصرًا على مصر، وقد بدأت مرحلة جديدة في الوطن العرب شهدت بروز اختصاص اللسانيات في المناهج الجامعية ، مع ازدياد الإقبال على موضوع (اللسانيات) في الصحف والمجلات ، وتوالت الترجمات المتعددة

للمصادر المختلفة الاتجاهات والكثيرة الفروع، وقد أسهم هذا بنهضة ثقافية جددت كثيرًا من الأفكار الدرسية في اللغة والنقد والبلاغة.